ندوة

ثلاث قراءات في «المركز العربي» بباريس

تواريخ للإسلام السياسي

استضاف فرع «المركز العربي» في باريس، أوّل أمس الثلاثاء، خمسة باحثين من المشرفين والمساهمين في تأليف كتاب «تاريخ الحركات الإسلاموية: القَرنان 19 و20» في ندوة أعطت صورة عن الرقعة الواسعة التي يغطّيها العمل وعن التنوّع في أشكال الإسلام السياسي

باريس ـ **العربي الجديد**

ثمّة كتبٌ تشغل، حين صدورها، أنظار وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في فرنسا، وأخرى لا تحظى بادنى اهتمام. ملاحظةٌ نصحّ، أكثر من أيّ من حقل ربما، على الأعمال التي تتناول الإسلام والمسلمين، أو الإسلام السياسي، حيث تستحوذ على التغطيات الكتبُ المتعجّلة، التي تُعيد إنتاج ما يقوله «مختصّو» القنوات والإذاعات، في حين تُتجاهل تماماً أعمالٌ أخرى، رغم صرامتها العلمية وسعيها إلى إضافة مقولات جدّية إلى النقاش. بل ربما أمكن القول إنها تُتجاهل، بالأحرى، بسبب علميتها وجدّيتها هاتين، أي بسبب عدم رغبتها في الكلام انطلاقاً من المعجم الشائع حول الإسلام والمسلمين في فرنسا.

من الأعمال التي تنتمي إلى هذا الصنف الأخير، الكتابُ الجماعي «تاريخ الحركات الإسلاموية: القرنان 19 و20»، الصادر حديثاً عن «المركز الوطني للأبحاث العلمية» في باريس، تحت إشراف الباحثَيْن فرنسوا بورغا وماتيو ري. نتلقّف هذه الملاحظة عن ازدواجية الإعلام المرئي والمسموع في فرنسا من فرنسوا بورغا، في مداخلة مقتضبة افتتح بها ندوةً لتقديم الكتاب عُقدت أوّل أمس الثلاثاء بفرع «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في باريس، بمشاركة زميله في الإشراف على الكتاب، ماتيو ري، ومسيّر الندوة، الصحافي الآن غريش، وثلاثة من الباحثين المساهمين بمقالاتهم في تأليف العمل: ريمي ماديني، وستيفان لاكروا، ومحمد محمود ولد محمدو.

ولن تكون ملاحظة بورغا هذه الوحيدة التي تشير إلى نقص أو عدم فهم ما، حيث سيجد المتحدّثون في الندوة أنفسهم أمام العديد من النقاط التي لا بدّ من توضيحها، وإزالة اللبس عنها، بسبب الطغيان الكبير للأفكار المسبقة والمتعجّلة أو الخاطئة، في فرنسا، حول الإسلام والمسلمين. وركّز كلٌّ من ري وبورغا مداخلتيهما على توضيح الخطوط العريضة المتعلّقة بطبيعة الكتاب والموضوع الذي يتناوله، حيث أشارا إلى أنّ العمل لا يطمح إلى أن يكون موسوعة حول تاريخ الإسلام السياسي، بل مساهمة في النقاش تشمل أكبر حيّزٍ ممكن، زمانياً ومكانياً، من حركات الإسلام السياسي. صحيحٌ أن العمل لا يشمل دراسة خاصّة بالحالة التونسية، أو تلك الفلسطينية، خلال ثلاثينيات القرن الماضي، إلّا أنه يتضمّن فصولاً تدرس أحوال الإسلام السياسي في عدد كبير من البلدان، من إندونيسيا إلى المغرب العربي، مروراً بإيران والسعودية ومصر وغيرها. رقعة واسعة سنقف على صورةٍ لها، ولاختلافات الكبيرة لطبيعة الإسلام السياسي فيها، مع مداخلات المحاضرين الثلاثة.

لن يكون ما جاء به ريمي ماديني عن الإسلام السياسي في إندونيسيا أمراً جديداً بالنسبة إلى جمهور الندوة الفرنسي فقط، بل وربما بالنسبة إلى قسم واسع من القرّاء العرب (الذين سيكون بإمكانهم، بالمناسبة، قراءة الكتاب مترجماً خلال الأشهر المقبلة). ذلك أن في «الحالة الإندونيسية» ما يخلخل التصوّرات العامة، حتى غربياً، عن هذا البلد، وعن العلاقة فيه بين الدين الإسلامي والسياسة. فالإسلام لم يكن، بالضرورة، المرجع الوحيد لدى أجيال من السياسيين المسلمين الإندونيسيين خلال القرن العشرين، والذين حافظوا، مثل كثير من مواطنيهم، على تقاليد روحية وعرفية متعدّدة، بعضها يحمل تأثيرات بوذية وهندوسية سابقة على الإسلام. أمرٌ يمكن اختصاره بهذه العبارة التي يقولها ماديني: إننا مسلمون، بالتأكيد، لكنّنا لسنا فقط مسلمين.

وتُضاف إلى هذه الخصوصية نقطةٌ أخرى، تميّز الإسلام السياسي في إندونيسيا عن ذلك الذي شهدته البلدان العربية: عدم وجود مواجهة مباشرة مع الغرب، وذلك لسببين، بحسب المحاضر: أوّلهما تنوّع المراجع الروحية والعرقية لدى السياسيين المسلمين، وثانيهما أن الأخيرين نشأوا، إلى جانب تعليمهم الديني، على تعليم غربي، في المدارس الهولندية التي كانت متوزّعة في البلد حتى نهاية الأربعينيات، وقت خروج المستعمر الهولندي (1800 ـ 1949)، ما خفّف من الصدام مع الغرب.

بدوره، استعرض الباحث ستيفان لاكروا، في مداخلته، أبرز النقاط التي قدّمها في مقاله الذي ضمّه الكتاب، والذي يتركّز حول الإسلام السياسي السعودي، ولا سيّما حركة «الصحوة». ومثل زملائه من المتحدّثين في الندوة، بدا لاكروا بخلخلة عدد من المعتقدات الشائعة، قائلاً إن الإسلاموية لم تُولد، في السعودية، مع محمد بن عبد الوهاب، الذي كان إصلاحيّاً إصلاحياً «ما قبل حداثيّاً»، بل وُلدت بعد «الحداثة» التي تلت فترة النهضة ومحمد عبده وجمال الدين الأفغاني. وهو يؤرّخ لهذه الولادة انطلاقاً من خمسينيات وستينيات القرن الماضي، بُعيد سياسة الملك فيصل بن عبد العزيز الرامية إلى استقدام شخصيات فكرية ودينية من خارج المملكة وتسليمها مناصب عُليا في الدولة أو سلك التعليم، من أجل بناء تيار في بلده مناهض للمدّ القومي العربي وللشيوعية. أمرٌ يسمّيه لاكروا بـ«إسلاموية دولة»، حيث الإسلام السياسي ليس على هامش النظام الحاكم، كما في العديد من الدول، بل في قلبه.

ويلفت الباحث الانتباه إلى معلومات قد لا تكون معروفة اليوم بشكل واسع، مثل اعتماد السعودية أفكار الإخوان المسلمين في التعليم في تلك الفترة، وتدريس أعمال سيّد قطب في الحصص الدراسية حول الإسلام، حيث كانت السعودية أوّل بلد يطبّق مبادئ الإخوان، بحسب المتحدّث. ويضيف لاكروا أنّ الأجيال التي ستكبر مع تعليم كهذا ـ إنْ كان في المدارس أو في الجامعات التي تخرّج فيها العديد من المفكّرين الإسلاميين المطرودين من بلادهم ذات التوجّه القومي (مثل سورية ومصر وحتى الهند) ـ هي التي ستُشكل، في ما بعد، ما سيُعرف بالصحوة، ولن يطول الأمر قبل أن يُسائل المنتمون إلى تيّار الصحوة التناقضات التي يقوم عليها النظام السياسي في بلدهم، حيث القول بإمارة إسلامية من جهة، والتحالف من جهة ثانية، بشكل وثيق، مع الولايات المتّحدة، التي يرونها عدوّة للبلدان المسلمة. وستبدأ هذه المساءلة النقدية بإعلاء الصوت، وباتّخاذ أشكال مختلفة من المعارضة، مع طلب السعودية التدخّل الأميركي إثر اقتحام صدّام حسين الكويت.

> اختلافات كبيرة بين الإسلام السياسي الإندونيسي والعربي
>
> كانت السعودية أول بلد يطبّق أفكار الإخوان المسلمين

جانب من مسجد «محمد علي» في القاهرة، أيار/ مايو 2021 (Getty)

تسطيح المعنى

في مداخلته، حلّل الباحث الموريتاني محمد محمود ولد محمدو التغيّر الكبير في معنى الإسلام السياسي منذ تفجيرات 11 أيلول/ سبتمبر 2001. فالنقاشات السياسية والاجتماعية حول هذه الظاهرة نُحّيت جانباً، وحلّ محلّها معجم شديد التسطيح، يختصر الأمر كلّه بعبارتي «الإرهاب» و«الأمن»، كما سيجري فرض السردية القائلة بأن الإسلام السياسي رديف للإرهاب، وهو ما سيفتح الباب على نظرة عنصرية إلى المسلمين.

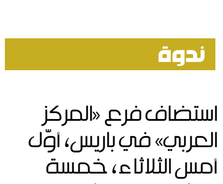

إطلالة

التسويق للذات على حساب الآخر

الفنّ ليس بريئاً

التاسيس على ما هو عام امرٌ ناجح. لكنّه يصيبُ الفنّ في مقتل، فهو يمسَح عن البشر فرديّتهم ويُضفيها على المجموعة التي ينتمون إليها

سومر شحادة

إذا كانَ الفنّ يبحث عن الفردانيّة، فهو في جانب منه يستند إلى ما هو سائد في موضوعه، كي يؤسّس لفردانيّةٍ من نوع ما. وقد ساهمت الفنون على اختلافها في تنميط جموع من البشر، كاليهوديّ البخيل مثلاً، أو صورة العربيّ في السينما الأميركيّة. لا أخالُ أنّ عربياً كثيرين يتّفقون مع الصورة التي صدّرتها عنهم سينما هوليوود.

كما لا أخال أنّ السوريّين الذين يشهدون نقاشاً دائماً، صار طريفاً لكثرة تكراره، يتّفقون مع ما تصدّره الدراما السوريّة عن دمشق بصورة خاصّة. ولو أنّ الأفلام السوريّة التي نجحت جماهيريّاً لم يتوقّف مُخرجها عن تنميط مجموعة من البشر باقتصار تجاربهم الإنسانيّة المختلفة على لهجتهم. كما تمتلئ الدراما السوريّة بأعمال تدفع إلى تنميط رجل الأمن ورجل الأعمال وما إلى ذلك. وعلى هذا النحو، الصورة التي تُصدّر لنا عن الآخر هي التي تشكّلُه في مخيّلتنا، وهي ليست حقيقته بالضرورة، وإنّما ما استطاع الفنّان إيصاله أو ما أراد إيصاله. لكن في بلدٍ مثل سورية، حيثُ يغيب العمل السياسي بصورة مُبرمة؛ من البداهة أن يبحث أحدنا عن ظلال السياسة في أبسط الظواهر، فكيف بالفنّ وهو أحد أعقد الظواهر التي ينتجها العقل. بالتالي، لا أخالُ أنّ الفنّ الذي يدفع إلى التنميط في السينما والدراما السوريّة، فنٌّ بريء.

على العكس، لا يتوقّف هذا النوع عن خدمة الآلية التي تدفع إلى استمرار حال البلد بالشكل الذي هو عليه، كما لا ننسى أنّ السينما والدراما صناعتان مضبوطتان بالكامل بالدور المطلوب منهما، في تنميط البشر واستخدامهم، وزيادة الفُرقة بينهم. وهذا ليس اتهاماً بالضرورة، ذلك لأنّه في غياب الحريّة والتنافسيّة كثيراً ما يركن العقل الكسول إلى ما هو سائد، وعلى ما تمّ اختبار نجاحه.

لربّما يلمع الفنّان بقدر تمكّنه من كسر السائد، لا في مسألة شكل مُؤلّفه وحسب، وإنّما في التفكير خارج الصندوق، كما يُقال. لكنّه، في صناعة الفنّ، ليس تفكيراً بقدر ما هو رؤية البشر بوصفهم بشراً، لا جماعات. فالبشر طيفٌ لا محدود، والمشترك بينهم غير نهائي. بعكس أيّ جماعة على اختلافها مع الآخرين، فهي تبني لذاتها سجناً هو صورة الآخرين عنها.

التاسيس على السائد، أمرٌ ناجح. لكنه محدود، وعدا عن كونه محدوداً فهو يصيب غرض الفنّ في مقتل، إذ يمسح عن البشر فرديّتهم ويضفيها على المجموعة التي ينتمون إليها، سواء أكانوا أصحاب بشرة مميّزة أو ميول جنسيّة مميّزة أم كانوا طوائف لها اعتقاداتٌ خاصّة. وأيضاً ليس هذا اتهاماً، وإنّما محاولة لفهم كيف يعمل الفنّ عندما يتعاطى مع مواضيع شائكة أو في بيئات إشكاليّة.

أخالُ أنّ الركون إلى الأنماط السائدة أمرٌ سهل. وهو مجالٌ رحب للسياسيّ الذي يتعاطى مع البشر على أنّهم مجموعات، عليه تقسيمها كي يستثمر اختلافاتها. لكنّ الأمر مختلفٌ أشدّ الاختلاف لدى الفنّان. فهو، حتّى إنْ تعاطى مع أنماط سائدة، عليه أن يُظهر فردانيّة شخصياته وخصوصيّة عمله.

> في غياب الحرّية يركن العقل الكسول إلى ما هو سائد

وإلّا لسقط عملُه، مهما بلغ الاحتفاء به في مرحلةِ اعتاد جمهورها أصلاً على أنماط سائدة أظهرها الفنّان في عملهِ. لكنّ المصير الأرجح مع مرور الوقت هو سقوط تلك الأعمال في النسيان والمضيّ من غير أثر. فالجماعات ليست مجالَ عمل الفنّ، إلّا إذا كان عملاً في الفنتازيا التي أساسُها بناءٌ مُتخيّل. لكنّنا كثيراً ما نقرأ في الرواية السوريّة، في السنوات الفائتة، أدباً ينتمي إلى الفنتازيا، على الرغم من تصدير الكتّاب لتلك الأعمال على أنّها واقعيّة. إذ لا يمكن للفنتازيا أن تكون أكثر تحقّقاً من وسم مجموعة كبيرة من البشر بسماتٍ فرد واحد.

(روائي من سورية)

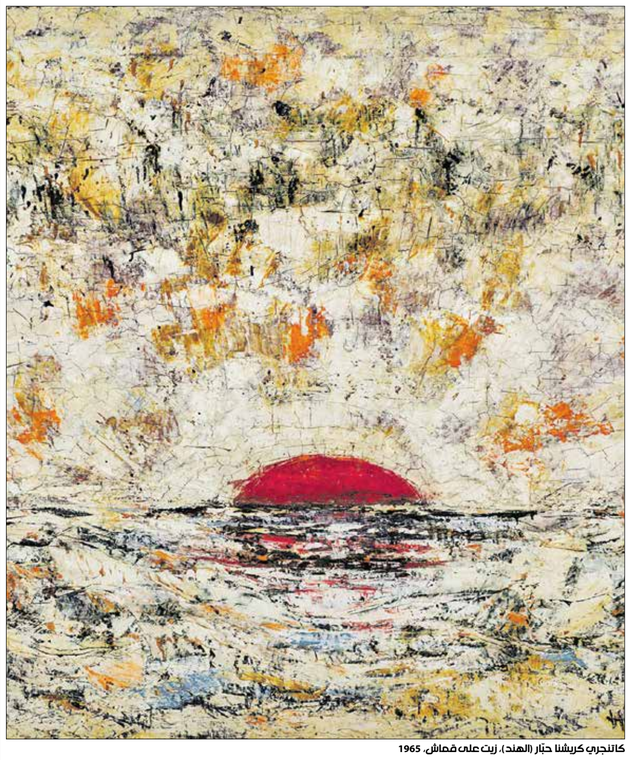

كاتنجري كريشنا حبّار (الهند)، زيت على قماش، 1965

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قصيدة

أستقرئُ الجُلّاس في أوجاعهم

نحن الإجابة والسؤال

سميح فرح

أمشي وحدي كي أصدّق،
ثم أجْمع ما تساقط من حروف،
فلقد تكون ملاذنا،
أو قد تكون الفائقَ المكنونَ ما تحتَ الغبار.
أو قد تكون السّيرة العجفاء، ما كنّا وما كانت.
أو قد تكون.
أو هكذا قالت لنا الأيّامُ، والتفّتْ قليلاً،
كنّا نحدّق في دخان الوقت والزّمن الخبيءْ
كنّا انعطفنا
نحو الغوامض وانسربنا،
آهٍ كم كنّا انسربنا
أو تفرّقنا، وتقادمت أخبارُنا.

■

ولأنّه الإغراقُ سرّ شاهق
سوف أدخُله كثيراً،
سوف أغضبه كثيراً،
سوف نجلس، هذي مثاقفة،
أم بعض إسراف،
أم بعض غلواء،
أم بعض ادخنة نعابثها،
أم بعض نقش في الصفائح،
أم بعض هذا،
أم كلّ هذا...

■

أستقرئُ الجُلّاس في أوجاعهم،
أو ما تقصّف من هلع المسافات الجسامْ.
فأقول شيئاً غامضاً،
وأعود أدخل في الممرّات القديمة،
أو بعض أحلام الثّوجُس،
واجتهادات اللّغاتْ.

■

كان الخواء الدّرّ أبلغَ ما تفتّق في دفاترنا الرخيمة،
كنّا انشغالاً عاتياً.
كنّا ندورُ ولا ندور.

■

كان الكلام هو النّساءُ الجالساتُ بلا طقوس،
يمضغن غيباً،
أو سراديب الفجاءة، وانحدارات الخرافة،
واختلالات المشاهد،
يُفرغْنَ شيئاً من خضار أو بُقول،
هذي تقول بأننا...
هذي تقول بأنها...
تستحضر الأصداء شاحبة، وكانت...

■

كلّ الجبال هي الشواهد، وانثناءات الحقول،
كانت، وتنفضُ راحتيها،
وتقول أنصاف المعاني،
ثم تدخل في غيابات، وتعود تُدخِل جملة في سربها،
وتمطّ حرفاً،
وتذيب حرفاً،
ثم تسترخي قليلاً.
وتنفّض الكفّين،
تنتظر الخدوش على جذوع الأُخريات الجالسات.
ثم تدخل كي تُسوّي بعض ما سمعتْ.
كانت تهمّ بأن تبوح، فتختنق،
ثم تمسح وجهها،
فتقوم ذاكرة، وتسأل،
هل هكذا...
ثم تهجع.
فالصمت شيءٌ من تلمُّسِنا المثابر،
والناس خدّسْ،
قد كان يجلس في صرامات البيوتْ.

■

أبوابُنا قالت كثيراً،
وثقوبها قالت كثيراً،
أسواقنا قالت كثيراً،
شهقاتنا،
بعض جدران تهدّم بعضها،
هداتنا،
أسفارنا، أعتابنا،
كلّ الصباحات الوسيمة، والرخيمة،
والتجعّد
في انكسارات المكانْ.

(شاعر من فلسطين)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

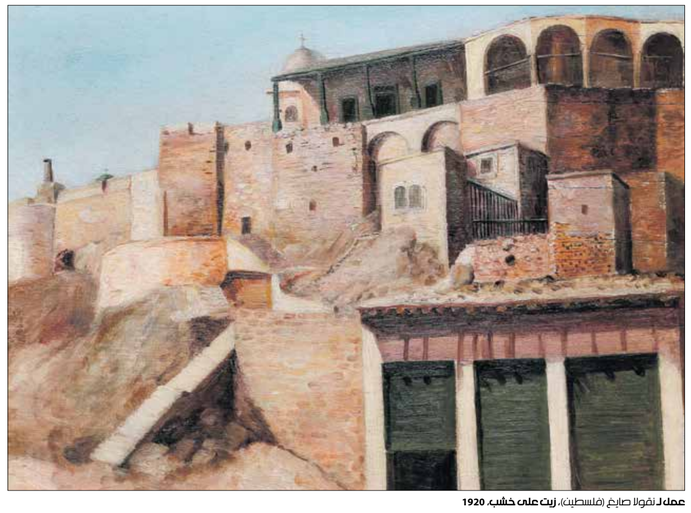

عمل لـ نقولا صايغ (فلسطين)، زيت على خشب، 1920

فعاليات

ضمن احتفالية **أيّام موليير** التي يُنظّمها «مسرح مونو» في بيروت، بمناسبة الذكرى 400 لميلاد الأديب الفرنسي، تُستكمل غداً عند السابعة مساءً الجلسة الثانية من سلسلة جلسات تُقرأ فيها نصوص مختارة لصاحب **البخيل** و **العشّاق العظماء**، أمّا الجلسة الثالثة والأخيرة ففي نفس التوقيت الخميس المقبل.

يُفتتح في «غاليري انيتا روجرز» بنيويورك، معرضٌ للتشكيلي السوري **انس البريحي** (1991) بعنوان **الحالم**، وذلك عند السادسة من مساء الاربعاء المقبل. يستكمل البريحي في معرضه هذا ما بدأه من اشتغال على موضوعة النوم التي سبق له ان تناولها في معارضه السابقة: صائد الاحلام (بيروت، 2018)، و منال (عمّان وبيروت، 2017) و امّنا الارض (بيروت، 2020).

انطباعات من شمال اوروبا لغريغ وسيبيليوس هو عنوان الامسية الموسيقية التي تحييها «اوركسترا قطر الفلهارمونية»، بعد غد السبت، عند السابعة والنصف مساءً، بـ«دار الاوبرا - كتارا». يتضمّن البرنامج مقطوعتين لـ **سيبيليوس**: السيمفونية الثانية و فنلنديا، وعملاً لـ **غريغ** هو متتالية بير جينت 1.

منازل كُن: المباني الخضراء والتكنولوجيا الحديثة في التصنيع عنوان الجلسة التي تُقيمها «مؤسّسة عبد الحميد شومان» بمدينة الزرقاء الاردنية عند الرابعة من عصر الخميس المقبل، و تقدّمها الباحثة والمعمارية **بسمة عريقات**، و تهدف إلى تسليط الضوء على معايير السلامة البيئية في تقنيات ومواد البناء.